

لماذا زيارة البابا الى العراق تاريخية - وما مغزى عدها حجاً...

بقلم: وليم وردا- مدير العلاقات العامة لمنظمة حمورابي لحقوق الانسان.

6 آذار 2021

في يوم 4 اذار قبل وصول قداسة البابا إلى العراق بيوم واحد، كتبت مقالاً ترحيبياً بقداسته مستعرضاً فيه بعض الرسائل التي يريد أن يبعثها إلى العراقيين والعالم رابطاً إياها بالقيم والأهداف التي تعمل عليها منظمة حمورابي لحقوق الإنسان منذ سنوات.

المفرح ان كلمات البابا ووصاياه بعد يوم من الزيارة سواء تلك التي ألقاها في القصر الرئاسي ببغداد أو تلك التي تلاها في كنيسة سيدة النجاة، جاءت متوائمة إلى حد كبير مع ما ذهبت اليه، كما لو أنني كنت معه عند صياغته لفقرات حديثة أو أنها جاءت بالتخاطر، اقول ذلك بكل تواضع .

اليوم هو اليوم الثاني من الزيارة ، حيث سيلتقي فيه سماحة السيد علي السيستاني ، بوابة الوفاق والامان للعراقيين ، ومن ثم سوف يتوجه الى مدينة اور التاريخية حيث مهبط أولى الرسالات والدعوات إلى عبادة الله الواحد، متتبعا اثر الاقدام الاولى لنبي الله إبراهيم "أبو الأنبياء". ومن ثم سيعود من هناك إلى بغداد لإقامة قداس في كاتدرائية مار يوسف وسط بغداد. كثيرون الذين سألوني، لماذا تعد زيارة البابا هذه، تاريخية، في الوقت الذي نرى حالها حال جميع زيارات البابا للدول الأخرى التي زارها.

من أجل المقارنة، أن الفرق كبير، إذ انها تعد تاريخية ليس لأنها اول زيارة رسولية منذ القرون الاولى للمسيحية، عندما انتشر الرسل المبشرين في هذه الارض الطاهرة، وألأنها جاءت كأول زيارة لقداسته منذ فترة طويلة لم يغادر فيها روما بسبب جائحة كورونا أو انها تعد أول زيارة يقوم بها بابا الفاتيكان للعراق بعد أن كانت حلماً كبيراً يراود الباباوات الذين سبقوه وخاصة القديس البابا بولص الثاني.

ومن وجهة نظري أراها تاريخية لأنها حسب قناعاتي، انها تبعث الأمل في ان تكون بمثابة نقطة تحول وفرصة لميلاد عراق جديد، عراق يعي معنى التنوع ويحترم مضامينه، ويحرص على حمايته ويصون مفرداته، ويدعم زخم الوحدة الوطنية ضمن الحفاظ على التعددية واحترام كل الهويات الدينية والإثنية والثقافية.

كما أنها تاريخية، بمعنى إعادة أحياء تاريخ العراق القديم بكل ما فيه من معالم وأثار وثقافات وهويات، تأصلت منذ أيام سومر وبابل واشور والعودة إلى الجذور لاستنهاض الماضي وتوظيفه من أجل المستقبل، بما فيها احترام الخصوصيات التي عمقها التاريخ عند هذا الشعب العريق، بدليل انه الى اليوم ، يحتفظ العراقيون بلغاتهم القديمة.....كالعربية والارامية السريانية والارمنية والكوردية والايديدية وغيرها، ليؤكدوا من جديد، أن التاريخ تصنعه الشعوب وتؤسسه المجتمعات وليس الحكام والسلطات.

نعم انها تاريخية لأنها جاءت في وقت يواجه فيه العراق مخاطر جسيمة هدفها افساد الملح مع ان الملح العراقي يكمن في تنوع سكانه، بمعنى خطر ضياع هوية العراق المتنوعة ذات المعان الإنسانية والأخلاقية التي هي روح التعايش السلمي والأخاء الحقيقي.

كما ان الزيارة تاريخية عندما تضمن برنامج لقاء قداسه بالمرجع الديني الاعلى للشيعه في العراق والعالم سماحة السيد علي السيستاني، هذا اللقاء الذي اعتبره لقاء جيلين شامخين بالقيم والمبادئ الايمانية ، لقاء رجلين معروفين بشغفهم في بناء السلام والوئام والمصالحة ونبذ الخصومات، والانتصار لحقوق الضعفاء، خاصة ان قداسة البابا فرنسيس يلقيه الكثيرون بـ "بابا الفقراء" ، لانه يحرص أن يكون رسولاً لمساعدة المظلومين واصحاب الحاجة والمهمشين، والانتصار لهم وتلك هي خلاصة الرسالة السماوية.

وهي زيارة تاريخية، حين عدها الكرسي الرسولي حجاً، والحج بالحساب الايماني كما هو معروف دائماً يكون إلى زيارة مناطق مقدسة.

العراق دائماً كان في عيون العالم أرضاً مباركة وما زال، إذا باركها الله ، منذ ان قبلت الانسانية طاعته من خلال أبي الأنبياء "النبي إبراهيم" وتعمقت قدسيتها، عندما شهد وحي أنبياء آخرين، كالنبي حسقيال والنبي ناحوم وغيرهم لدى اليهود،

وأنها أرض الأولياء والصالحين لدى المسلمين، وفيها نشأت أولى الكنائس المسيحية على خطى الرسول مارتوما، ومارماري ومارادي وغيرهم، لذلك تعد كنيسة العراق (كنيسة المشرق) بشقيها الكلداني والاشوري، كنيسة رسولية عميقة في جذورها. ان قصة " الارض المباركة " ارددها منذ سنوات، اذ يذكرني زملائي المتواجدين المهاجرين من وطنهم، عندما اخذوا قرارهم بالرحيل عن هذه الأرض، كنت أقول لهم كيف تستطيعون وكيف تطاوعكم قلوبكم وضمائركم أن تغادروا هذه الأرض المباركة، فكانت اجوبتهم لي بألم وحرقة في القلب اشعر بها، " لتكون مباركة لك وللباقين فيها إن شاء الله، نحن ما عدنا نتحمل الخوف والفرع اكثر".

أتمنى، أن تتحول أهداف رسائل الزيارة إلى مشاريع عمل تخدم جميع العراقيين وتصون كرامتهم بدون تمييز، وأن تضع حدا لكل النزعات الحصرية والمصالح الضيقة التي استهدفت وتستهدف وحدة التنوع العراقي، بل أمني أن تنعكس أهداف هذه الزيارة بما يحقق السلام في العراق ودول التي يصفها أحد أصدقائي الاعلاميين بأنها تمثل قوس الأزمة في العالم و مصدر قلق لكل فرص التضامن والتعايش بين الشعوب.